ملامح تحول العرب عن الوثنية في ضوء الشعر الجاهلي

الدكتور كاظم حمد محراث
أستاذ الأدب الجاهلي المساعد، كلية التربية ـ جامعة

بَـدءاً، علينـا أن نفهـم أن التوحيـد أصـل فـي جزيـرة العـرب، وان الشـرك طـارئ علـى ناسـها، وقـد كُتِـب الكثيـر، فـي كيفيـة انتقـال عبـادة الأصـنام والأوثـان إلـى العـرب، إذ أوردت المصـادر أن عمـرَ بـن لحـي خـرج مـن مكـة إلـى الشـام فـي بعـض أمـوره، فلمـا قَـدِم مـآب مـن أرض البلقـاء، وبهـا يومئـذ العمـاليق، وهـم ولـد عمـلاق، وجـدهم يتعبـدون للأصـنام، فقـال لهـم: مـا هـذه الأصـنام التـي أراكـم تعبـدون ؟ قـالوا لـه: هـذه الأصـنام نعبـدها، فنسـتمطرها فتمطرنـا، ونستنصـرها فتنصـرنا. فقـال لهـم: أفـلا تعطـونني منهـا صـنماً، فأسـيرُ بـه إلـى أرض العـرب، فيعبدونـه ؟ فـأعطوه صـنماً يقـال لـه هُبـل، وأخـذه، فتقـدم بـه إلـى مكـة فنصـبه، وأمر الناس بعبادته:

ربَّ يـوم قـد يرى فيه هبل ذا سامٍ ونـوالٍ وَجَذل
لا يناجيه ولا يَخلو بِهَـل عبدُ وُدٍ وجبيل وحجَل[1]

ويـذكر أهـل الأخبـار أن الجـاهليين جميعـاً كـانوا قبـل عمـرو بـن لحـي الخزاعـيّ علـى ديـن إبـراهيم، كـانوا موحـدين يعبـدون الله جـل جلالـه وحـده، لا يشـركون بـه ولا ينتقصـونه. فلمـا جـاء عمـرو بـن لحـيّ أفسـد العـرب، ونشـر بيـنهم أضـاليل عبـادة الأصـنام، بمـا تعلّمـه مـن وثنيـي بـلاد الشـام حـين زارهـم، وحـلّ بيـنهم، فكـان داعيـة الوثنيـة عنـد العـرب والمبشّـر بهـا ومضـلّهم الأول، وهـو علـى رأيهـم مُـوزِّع الأصـنام بـين القبائـل، ومقسِّـمها عليهـا، فكـان مـن دعوتـه تلـك عبـادة الأوثان[2].

وفضلا عن ذلك، فقد قيل الكثير عن تحوّل هذه العبادات إلى ممارسات مضحكة أحيان، كأن يقال أن الجاهلي قد اتخذ قطعة من الخشب معبودا، ولما يحتاج إلى وقود يشعل ربّه، وقد يتخذ التمر تمثالا معبودا ولما يجوع يأكل ربه، وقد يتخذ حجرة ملساء صلدة إلها معبودا :

أكلت حنيفة ربهـــا زمن التقحم المجاعَـــهْ
لم يحذروا من ربهـــم سوء العواقب والتباعَـــهْ
نصبوه من حجـر أصمـ ـم وكلّفوا العرب اتباعَـهْ[3]

وقد استهزأ بعضهم بتلك المعبودات فهجوها:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب[4]

ولما يحتاج إلى حجارة يتخذ ربه أثفية تحت قدوره،و(اشتهرت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه، ولا على بناء بيت، نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت، وسمّوها الأنصاب، فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان وسموا طوافهم (الدوار)، فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا وجعل الثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل غيّره فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك)[5].

وبالإمكان العودة إلى كتاب الأصنام للكلبي والى سواه من كتب التاريخ التي تفصّل القول في هذا كله. لكنّ الكثيرين من مثقفي الجيل الجاهلي الأخير أمسوا يستهجنون الاستمرار في ما هم عليه من أفكار وممارسات رجعية، فضجّ العقلاء في ذلك، حتى قال قائلهم:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت ربّ واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهلٍ سيصطفي دونكم للبيت حُجَّابا[6]

في ظل هذه العبادات المرتبكة في جزيرة العرب ظهرت طائفة من الناس تبحث عن سبيل للخلاص من هذه الممارسات، وتحاول استكشاف عبادة تقنعهم في اعتناقها، أخذت هذه الطائفة البحثَ عن التوحيد عنوانا لنشاطها، وأسماهم الناس الأحناف. ولم يكونوا يهودا ولا نصارى، ولم يشركوا بربهم أحداً، وسفّهوا عبادة الأصنام، وسفّهوا رأي القائلين به**ا:**

فلا العزى أدين ولا أبنتيها ولا صنمـــي بني غُنم أزورُ
ولا هبلاً أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ حلمي صغيرُ[7]

ودأبت معظم الدراسات المتعلقة في ديانات العرب قبل الإسلام على عدّ الحنيفية دينا يسعى أصحابه إلى التوحيد، ولم تنضج هذه الديانة في معاداة الأصنام والأوثان إلا في العقود الأخيرة من العصر الجاهلي، وتورد المصادر خبرا مهما في مناسبة تحول بعض العرب من العبادة الوثنية إلى

التأمل والتفكر في معبود واحد، إذ تقول: اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم،كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، ويديرون به، وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة يوماً، فخلص منهم أربعة نفر نجيا، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتُم بعضُكم على بعض، قالوا: أجل! وهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن نفيل. فقال بعضهم لبعض: تعلّموا والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع! يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم. فأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب. وأمّا عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة. وأمّا زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة، وقال أعبد رب إبراهيم وبادأ قومه بعيب ما هم عليه، وهو يقول: (يا معشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري. ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته)[8].

ولو عدنا إلى تدقيق المدة الزمنية التي عاش فيها أولئك الناس الذين هجروا عبادة الأصنام وتخلوا عنها، أو أولئك الناس الذين تحولوا بوجوههم يبحثون عن دين يقنعهم، فسنجد أن أعمار هؤلاء جميعا تكاد تنحصر في الخمسين عاما السابقة لنزول الوحي، فهم من جيل الرسول نفسه ولا يبتعدون كثيرا. فورقة بن نوفل أدرك الإسلام ومات في السنة الأولى للهجرة (ت1هـ)[9]، وعبيد الله بن جحش أدرك الإسلام هو أيضا، وهاجر إلى الحبشة مع المسلمين الأوائل ومات هناك[10]، أما زيد بن عمرو بن نفيل فرأى النبي (ص) وتوفّي في عام البعثة النبوية، إذ كان خارجا يلتمس دين إبراهيم[11].

أما عثمان بن الحويرث فكان من النفر من قريش منهم ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نُفيل، وعبيد الله بن جحش، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه، وقد اتخذوا ذلك اليوم من كلِّ سنةٍ عيداً، وكانوا يعظمونه، وينحرون له الجزر، ثم يأكلون ويشربون الخمر، ويعكفون عليه. فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبوباً على وجهه، فأنكروا ذلك، فأخذوه فردُّوه إلى حاله فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً، فأخذوه فردُّوه إلى حاله. فانقلب الثالثة. فلمّا رأوه كذلك اغتمّوا له، وأعظموا ذلك. فقال عثمان بن الحويرث: ما له قد أكثر التنكس؟ إنّ هذا لأمر قد حدث. وقال:

أيا صنم العيد الذي صف حوله	صناديد وفد من بعيد ومن قربِ
ينكس مقلوبا فما ذاك قل لنا	أذاك سفيه أم تنكس للعتبِ
فإن كان من ذنب أسأنا فإننا	نبوء بإقرار ونلوي على الذنبِ

وإن كنت مغلوبا تنكست صاغرا فما أنت في الأصنام بالسيد الربِ

وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ[12]. وهذا يعني أنه من الجيل نفسه الذي شهد سنة ولادة الرسول وعاصره في العقود اللاحقة من حياته(ص) وهو أسن من الرسول بقليل، ومن الجيل الذي أضحى يتوق إلى عبادة جديدة غير عبادة الأصنام.

وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام ومات هناك.

ولو عدنا إلى مصادر التاريخ الإسلامي نبحث عن أسماء من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية، فسنجدهم:أبا بكر الصديق،وهو صاحب رسول الله وخليفته من بعده، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وورقة بن نوفل، وهؤلاء الأربعة من معاصري الرسول (ص) كما كنا ذكرنا قبل قليل، والرباب بن البراء الشمني، وهذا معاصر لبحيرا الراهب[13] الذي التقى بالرسول حين كان عمره اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام حين خرج مع عمّه أبي طالب إلى الشام، فلما بلغ بُصرى رآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فجاءه وأخذه بيده وقال هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبقَ حجر ولا شجر إلا خرّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبيّ وإنّا نجده في كتابنا[14]. مما يعني أن الرباب وبحيرا كانا عاصرا مدة من حياة الرسول وهما أسنّ منهﷺ. وأمية بن أبي الصلت (ت5هـ) وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد ﷺ، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن وسألته قريش رأيه فقال: أشهد أنه على الحق. وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أضل زمانه، ويؤمل أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته كفر حسداً له[15]. وقس بن ساعدة الإيادي (ت 23 قبل الهجرة) وكان مؤمناً بالله والبعث، وقد أدرك الرسول ورآه بعكاظ وقد سمع الرسول عنه كلاماً وقال عنه (يرحم الله قساً إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده)[16]. وأبا قيس بن صرمة، فكان رجلاً قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح وفارق الأوثان، وهمّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجداً. وقال أعبدُ ربَّ إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم وحسن إسلامه وهو شيخ كبير، وكان قوّالا بالحق معظِّما لله عز وجل في جاهليته ويقول أشعاراً في ذلك:

سبِّحوا للمليك كل صباحٍ طلعت شمسه وكل هلالِ[17]

أما في أجيال الجاهليين ممن عاشوا قبل الخمسين سنة السابقة لبزوغ فجر الإسلام فلا نكاد نجد من الجاهليين من ترك عبادة الأصنام، ولا نكاد نجد

منهم من تحنّف أو ذكّر بدين إبراهيم النبيعليه السلام. وهو أمر ينبؤنا عن شكل من أشكال حركة المجتمع، ويبين لنا الاتجاه الذي يسير فيه.

وقد لخص الشيخ الطبرسي آراء العلماء في الحنيفية وأجملها في تفسيره الآية:(وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً، وما كنت من المشركين)[18] فقال: "وفي الحنيفية أربعة أقوال: احدها أنها حج البيت. وثانيها أنها إتباع الحق. وثالثها أنها إتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام. والرابع أنها الإخلاص لله وحده والإقرار بالربوبية والإذعان للعبودية[19].

ولم أعثر في معاجم اللغة العربية على ما كتبه د. جواد علي: أن لفظة "حنيف"، هي في الأصل بمعنى "صابئ" أي خارج عن ملة قوم، تارك لعبادتهم. لكن الدلالة اللغوية تؤيد ما ذهب إليه، من أن الحنيف مأخوذ من الميل عن الشيء وتركه[20]. وقد أطلقت على "المنشقين" على عبادة قومهم الخارجين عليها، كما أطلق أهل مكة على النبي وعلى أتباعه "الصابئ" و "الصباة"[21]، فصارت علماً على من تنكر لعبادة قومه، وخرج على الأصنام. ولهذا نجد الإسلام يطلقها في بادئ الأمر على نابذي عبادة الأصنام، وهم الذين دعاهم بأنهم على دين إبراهيم، ولمّا كان التنكر للأصنام هو عقيدة الإسلام لذلك صارت مدحاً لمن أطلق الجاهليون عليهم تلك اللفظة لا ذماً[22].

أما الحنفاء، فكما يُفهم من روايات أهل الأخبار، كانوا طرازاً من النسّاك، نسكوا في الحياة الدنيا، وانصرفوا إلى التعبد للإله الواحد الأحد إله إبراهيم وإسماعيل، ساحوا في البلاد على نحو ما يفعله الحجاج الزهاد بحثاً عن الدين الصحيح دين إبراهيم، فوصل زيد بن عمرو بن نفيل إلى الشام والبلقاء ووقف على اليهودية والنصرانية[23]، فلم يرَ في الديانتين ما يريد. وليس في إمكاننا في الوقت الحاضر وضع حد صريح واضح لمفهوم الأحناف و "الدين الحنيف" عند الجاهليين، لما ذكرناه من انعدام الموارد الواضحة الصريحة عن الأحناف، ولعدم ورود أشياء مهمة عنهم في نصوص جاهلية، ولأن في الكثير مما يذكره المفسرون وأهل الأخبار عنهم غموضا وإبهاما، أو صنعة وتكلف، وإن الصورة التي رسمها المفسرون وأهل الأخبار عن عقيدة الحنفاء غير واضحة، فهي صورة غامضة في كثير من النواحي، تخص الناحية الأخلاقية أكثر مما تخص الناحية الدينية.

لذلك فليس أمامنا سوى الانصراف إلى البحث عن معاينة ما ورد عن الحنيفية في الشعر، وتنقيته وغربلته لاستخراج الماسة الصافية منه لعلها تفيدنا في الوقوف على تلك الحركة الدينية التي كانت بارزة عند المذكورين قبيل ظهور الإسلام. ففي شعرهم شيء عن عقيدتهم في الله، وكيفية تصورهم لقدراته، وكيفية عبادتهم له، يقول زيد بن عمرو بن نفيل:

ألم تعلم بأن الله أفنى رجالاً كان شأنهم الفجور

وأبقى آخرين ببـــر قوم فيربـو منهم الطفل الصغير[24]

فهـم مؤمنـون أن الله البـاقي بعـد فنـاء كـل شـيء، وأنـه يمحـق الجبـارين والفاجرين، وأنه يرضى عن آخرين أبرار.

ولمّـــا نتجـه إلـى تلـك المضـان نجـد أولا ورود لفظـة حنيـف فـي شـعر الجاهليين من غير الأحناف، يقول صخر بن عبد الله الخيثمي الهذلي:

كـأَنَّ تَوالِيَـهُ بِالمَـلا نَصارى يُساقونَ لاقَوا حَنيفا[25]

وقائـل هـذا البيـت لـيس مـن الأحنـاف، ولا يمـتّ لهـم بصـلة، فهـو صـخر الغـي. شـاعر جـاهلي، قـال الأصـفهاني: لقـب بصـخر الغـي لخلاعتـه وشـدة بأسـه وكثرة شره. وقول أبي ذؤيب:

أقامَتْ به كمقام الحنيـ ـفِ شَهْرَي جُمادَى وشهري صَفَرْ[26]

وهـذا يعنـي أن مجموعـة الأحنـاف أمسـت معروفـة بـين أوسـاط النـاس، وأن طريقـة تعبـدهم ملحوظـة، ولـو لـم يكـن الأمـر كـذلك لمـا أخـذت لفظـة الأحنـاف وحنيـف مكانـا فـي بعـض نصـوص الشـعر الجـاهلي. ونعثـر فـي المـوروث الشـعري الجـاهلي علـى نصـوص تزحـزح منشـدوها عـن عبـادة الأصـنام واستهزؤوا بها، كقول أحدهم:

أتينا إلى سعد ليجمـع شملنا فشتّتنا سعدٌ فلا نحن من سعـدِ

وهل سـعدُ الاّ صخرة بتنوفة من الأرض لايُدْعَى لغيٍّ لا رُشْدِ[27]

وقول الآخر:

ذهبتُ الى نُهْمٍ لأذبـح عنده عتيـرةَ نسـكٍ كالذي كنت أفعلُ

فقلت لنفسي حين راجعت عقلها أهذا إلهٌ أيُّكـم ليس يعقلُ[28]

ومثلـه قـول أحـدهم قُتـل أبـوه، فـأراد الثـأر لـه، فـأتى ذا الخلصـة، واستقسـم عنـده بالقـداح فخـرج النهـي، فـامتعض مـن هـذا النهـي، فـاحتجّ علـى صـنمه وهجاه:

لو كنت ياذا الخلص الموتـورا
مثلـــي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العـداة زورا[29]

لكننـا حـين نسـتقرئ شـعر شـعراء الأحنـاف سـنجد السـمات الدينيـة جليـة فـي كثير منه، إذ أسمعنا أحدهم رأيه في أن الخلق ليس عبثاً:

الحَمـدُ لِلّـهِ الَّـــذي لَم يَخلُـقِ الخَلـقَ عَبَـث[30]

وأسمعوا الناس دعوتهم إلى التوحيد في زمن الشرك:

لا تعبـدنَّ إلهاً غير خالقكم فإن دعَوكم فقولوا بيننَا حدَدُ[31]

ومنهم من بشّر بالجنة وحذّر من عذاب النار:

تَـرى الأَبـرارَ دارُهُـمُ جِنانٌ وَلِلكُـفّارِ حامِيَةٌ سعيرُ[32]

وبشّر قس بن ساعدة بيوم القيامة بقوله:

يا ناعي الموت والأموات في جدثٍ عليهم من بقايا بزهـم خـرقُ

دعهم، فإن لهم يوماً يصاح بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا لحال غير حالهم خلقاً جديداً كما من قبله خلقوا
منهم عراةٌ، ومنهم في ثيابهم: منها الجديد ومنها المنهج الخلقُ[33]

وتجسد في شعر شعرائهم الالتجاء إلى عبادة إله أعلى لا يشبه المادة، هو إله واحد لطيف خبير:

وأسلمْتُ وجهي لمن أسلمتْ له الأرضُ تحمل صخراً ثِقالا
دحاها فلمّا استوت شدّها سَواءً وأرسى عليها الجبالا
وأسلمْتُ وجهي لمن أسلمَتْ له المُزنُ تحمل عذباً زُلالا
إذا هي سِيقَتْ إلى بلدةٍ أطاعت فصبّت عليها سجالا[34]

وبيّن بعضهم أنه يصلي لرب واحد خلق خلقا كثيرا يدعون باسمه وهو الله:

أدين لرب يستجيب ولا أرى أدين لمن لا يسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليت في كل بيعة تباركت قد أكثرت باسمك داعيا[35]

و منهم من أخذ على قومه هدايتهم بحثّهم على ترك عبادة الأصنام:

لا تعبدنَّ إلهاً غير خالقكم فإن دعَوكم فقولوا بيننَا حدَدُ[36]

لذلك لاقوا منهم عداءً ونصباً شديداً. ومنهم من كان يتأمل في هذا الكون، لذلك تجنب الناس واعتزلهم، والتجأ إلى الكهوف والمغارات البعيدة ابتعاداً عن الناس للتأمل والتفكر، وقد تجنبوا الخمر والأعمال المنكرة، وقول الفحش، وساروا على مثل الإسلام، وان عاشوا قبل الإسلام، لأن الإسلام دين إبراهيم.

والذي يفهم من القرآن الكريم، هو أن الحنفاء هم أولئك الذين رفضوا عبادة الأصنام، فلم يكونوا من المشركين، بل كانوا يدينون بالتوحيد الخالص، وهو فوق توحيد اليهود والنصارى، فلم يكونوا يهوداً ولا نصارى، و ﴿وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين﴾ [37]، وان قدوتهم في ذلك إبراهيم. ويلاحظ أن لفظة "مسلم" استعملت مرادفة معنى لفظة "الحنيف"، وان إبراهيم هو أبو المسلمين وأولهم. وقد وصف الإسلام بأنه دين الله الحنيف، والدين الحنيف، وان الشريعة الإسلامية، هي الحنيفية السمحة السهلة، وذلك تميزاً لها عن الرهبانية المتعصبة[38].

ويلاحظ أن جميع من حشرهم أهل الأخبار في الحنيفية، كانوا من القارئين الكاتبين. وكانوا يشترون الكتب ويراجعونها ويتسقّطون أخبار أهل الآراء والمذاهب والديانات. وللبعض منهم - كما يروي أهل الأخبار - علم باللغات الأعجمية مثل السريانية والعبرانية، كما كان لهم علم ووقوف على تيارات الفكر في ذلك الوقت. وقد أضافوا إلى علمهم الذي أخذوه من الكتب، علماً حصلوا عليه من أسفارهم إلى الخارج مثل العراق وبلاد الشام. ومن اتصالهم بالرهبان وبرجال الكنائس واليهود . فهم بالنسبة لذلك الوقت الطبقة المثقفة من الجاهليين نادت بالإصلاح، وبرفع مستوى العقل، وبنبذ الأساطير

والخرافات، وبتحرير العقل من سيطرة العادات والتقاليد فيه، وذلك بالدراسات والتأمل، وبقراءة الكتب وبالرجوع إلى دين الفطرة الذي لا يقر عبادة الشرك ولا عبادة الناس[39].

لذلك يصح ما قاله جواد علي عن هؤلاء: إنهم كانوا أناسا من النوع الذي نطلق عليهم كلمة "مصلحين" في الوقت الحاضر. من هذا الطراز الذي يريد إصلاح الأوضاع ورفع مستوى العقل. فهم جماعة ضد الأوضاع الاجتماعية السائدة في أيامهم. لأنها في نظرهم أوضاع مؤخِّرة تمنع الإنسان من التقدم ومن إدراك الواقع. وقد رأت أن العقل لا يقر التقرب إلى أحجار والى التبرك بها والذبح لها، لأنها حجارة لا تعي ولا تفهم وليس في إمكانها أن تسمع أو تجيب لذلك نفرت منها. ومنهم من آمن بدين كالنصرانية، ولكنه لم يكن على نصرانية قومه، لأن عقله لا يقر التقرب إلى المادة مثل الصليب والصور والتماثيل[40]. وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول:

عزلتُ اللات والعزى جميعا ... كَذَلِكَ يَفعَلُ الجَلدُ الصَبورُ
فلا العزى أدينُ ولا ابنتيها ... ولا صنمي بني عمرو أزورُ
ولا هبلاً أدين وكان ربا ... لنا في الدهر إذ حلمي صغيرُ
أربا واحدا أم ألف ربٍّ ... أدينُ إذا تقسمتِ الأمورُ

ألم تعلم بأنّ الله أفنى ... رجالا كان شأنهمُ الفجورُ[41]

وورد خبر التقاء زيد مع رسول الله في رواية أخرى يُرْجِع رواتُها سندها إلى زيد بن حارثة، يذكرون أنه قال: خرجت مع رسول الله في يوم حار من أيام مكة، وهو مردفي، فلقينا زيد بن عمرو ابن نفيل، فحيّا كل منا صاحبه. فقال النبي: يا زيد ما لي أرى قومك قد شنفوك (أبغضوك)؟ فأجابه زيد، بأنه لا يهتم بذلك، وأنه خرج يبتغي دين الله، حتى قدِم على أحبار خيبر، فوجدهم يعبدون الله ويشركون به. ثم سأل أحد الأحبار، وهو شيخ منهم، عن الدين الذي يبتغيه، فقال له: ما نعلم أحدا يعبد الله به إلا شيخاً بالحيرة، فخرج إليه. فلما كلّمه قال له: إن الذي تطلب قد ظهر ببلادِك قد بُعِثَ نبيٌّ، قد طلع نجمه، فعاد إلى مكة، فوجد محمداً (ص) قد بُعِث نبيا[42].

أما قُس بن ساعدة الإيادي فكان يخطب قومه في سوق (عكاظ) فقال في خطبته: سيُعْلَم حقٌّ من هذا الوجه وأشار بيده إلى مكة، قالوا: وما هذا الحق؟ قال: رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص، وعيش الأبد، ونعيم لا ينفد، فإن دعاكم فأجيبوه، ولو علمت أني أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه[43]. وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل البعثة ومما كان ينشده من شعره:

في الذاهِبينَ الأَوَّلينَ ... مِنَ القُرونِ لَنا بَصائِرْ
لَما رَأَيتُ مَواردِاً ... لِلمَوتِ لَيسَ لَها مَصادِرْ
وَرَأَيتُ قَومي نَحوَها ... تَمضي الأَصاغِرُ وَالأَكابِرْ
لا يَرجِعُ الماضي وَلا ... يَبقى مِنَ الباقينَ غابِرْ

أَيقَنتُ أَنّـــــــي لا مَحا لَةَ حَيثُ صارَ القَومُ صائِرْ[44]

وأميـةّ بـن أبـي الصـلت مثـل سـائر المتـألّهين الآخـرين مـن طبقـة الحنفـاء، سـافر إلـى الشـام، واتصـل بأهلهـا، وأوى إلـى الأديـرة ورجـال الـدين يسـأل مـنهم مـا يهمـه مـن مشـكلات دينيـة وعمـا كـان يجـول فـي خـاطره مـن عبـادة قومـه وحقيقـة العـالم. وكـان تـاجراً، يـذهب مـع التجـار فـي قـوافلهم إلـى تلـك الـديار التـي كانـت فـي أيـدي الـروم. ثـم إنـه كـان علـى مـا يظهـر مـن الروايـات التـي وردت فـي ترجمتـه وسـيرته قارئـاً كاتبـاً، قـرأ الكتـب، ووقـف عليهـا. ومنهـا ومـن اتصـاله برجـال الـدين وبأهـل الكتـاب تكونـت عنـده فكرتـه عـن الـدين، وشـكّه فـي عبـادة قومـه وفيمـا كـانوا عليـه مـن عقائـد وعبـادات. وقـد بـدا هـذا التـأثر فـي الكلمـات والمصـــطلحات الأعجميـــة والغريبـــة المســـتعملة فـــي شـــعره وفـــي الأمثلـــة والقصـص المنتـزع مـن الكتـابين؛ للعهـد القـديم والعهـد الجديـد ومـن مـوارد أخـرى عديدة من الموارد الشائعة المستعملة عند أهل الكتاب:

قَد كانَ ذو القَـرنَينِ قَبلي مُسلِماً مَلِكاً عَلا في الأَرضَ غَيرَ مُعَبَّـدِ
بَلَـغَ المَشارِقَ وَالمَغارِبَ يَبتَغي أَسبابَ مُلكٍ مِن كَريمٍ سَيِّـــدِ
مِن قَبلِهِ بَلقيسُ كانَت عَمَّتـي حَتى تَقَضّى مُلكُها بِالهُدهُـدِ[45]

ولا نعلـم عـن حيـاة ورقـة بـن نوفـل فـي أيـام شـبابه شـيئاً، ولعلـه كـان يعـين أهلـه أو أقربـاءه فـي اتجـارهم مـع بـلاد الشـام أو اليمن شـأن أكثـر شـبان أسـر مكـة المعروفـة فـي ذلـك الوقـت. فـتَعلّم بـذلك سـلوك الطـرق الموصـلة إلـى العـراق أو بـلاد الشـام، ومـن هنـا انـدفع نحـو خـارج الجزيـرة يلـتمس الحكمـة والوصـول إلـى رأي يقنعـه فـي الحيـاة. ويظهـر انـه لـم يكـن فـي شـبابه مـن أولئـك الشـباب الخـاملين الـذين كـانوا يصـرفون وقـتهم فـي فـراغ دائـم، دون عمـل ولا تفكيـر، متوسـدين الأرض يقتلـون فـراغهم فـي ترهـات الكـلام، كمـا انـه لـم يكـن مـن أولئـك الطائشـين النـزقين الـذين يقضـون وقـتهم فـي النـزاع والخصـومة وشـرب الخمـر والاعتـداء علـى النـاس، والحصـول علـى المـال للإنفـاق علـى اللهـو بأيـة طريقـة كانـت، بـل كـان شـاباً متـأملاً مفكـراً منكمشـاً علـى نفسـه، مكّنـه علمـه بالكتابـة والقـراءة مـن قـراءة الكتـب والاطـلاع علـى آراء الماضـين والحاضـرين، حتـى جـاء يـوم، دفعـه فيـه اجتهـاده الـذي وصـل إليـه علـى الخـروج علـى تقاليـد قومـه وانتقـاد الأوضـاع التـي كـانوا عليهـا، ممـا حملـه علـى تـرك مكـة طوعـاً أو قهـراً، والتجـول للبحـث أو فراراً من غضب قومه عليه[46].

وورد فـي بعـض الروايـات أنـه كـان يكتـب الكتـاب العربـي، فكتـب بالعربيـة مـن الإنجيـل مـا شـاء أن يكتـب. وورد فـي روايـة أخـرى أنـه كـان يكتـب الكتـاب العبراني، فكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب[47].

وأمـا وكيـع بـن سـلمة بـن زهـر الإيـادي، فهـو مـن إيـاد، زعـم ابـن حبيـب انـه ولـي البيـت بعـد جـرهم، فبنـى صـرحا بأسـفل مكـة، وجعـل فيـه أَمَـة يقـال لهـا حـزورة، وبهـا سـميت حـزورة مكـة، وجعـل فـي الصـرح سـلّماً، فكـان يرقـاه ويـزعم انـه يناجي الله. وكـان ينطـق بكثيـر مـن الأخبـار، ويـزعم النـاس انـه صـدِّيق مـن الصـدِّيقين، وقـالوا كـان كاهنـاً(48) وذكـروا لـه كلمـات مسـجّعة مثـل

قولـه:(زعـم ربكـم ليجـزين بـالخير ثوابـاً وبالشـر عقابـاً)[49] وقولـه: (مَـن فـي الأرض عبيـد لمـن فـي السـماء، هلكـت جـرهم وربلـت إيـاد وكـذلك الصـلاح والفسـاد...)[50]، ولمـا حضـرته الوفـاة جمـع إيـاداً ثـم قـال:(اسـمعوا وصـيتي، الكـلام كلمتـان، والأمـر بعـد البيـان، مـن رشـد فـاتبعوه ومـن غـوى فارفضـوه، وكل شاة معلقة برجلها)[51].

والصـرح كمـا يقـول علمـاء اللغـة، بيـت يبنـى منفـرداً ضـخماً طـويلاً فـي السـماء وكـل بنـاء عـالٍ مرتفـع[52]. والحـزورة الرابيـة الصـغيرة والتـل الصـغير[53]. ويظهـر انـه كـان بنـى صـرحه فـوق تـل فـي محـل منفـرد، ليختلـي هناك على طريقة الرهبان والنساك.

هـذه خلاصـة مـوجزة لسـير مـن حشـرهم أهـل الأخبـار فـي زمـرة الحنفـاء، تريـك أنّ آراء الجماعـة تكـاد تكـون واحـدة: كفـر بالأصـنام وبالشـرك كلـه، وإعـراض عـن عـادات قـومهم، وثـورة علـى عقائـدهم، وترقـب لحـدوث تطـورٍ وإصـلاح يقضـي علـى الجهالـة، وقـد مهـدوا لـه بـدعوتهم تلـك التـي أشـاعوها بـين بنـي قـومهم فجلبـت علـيهم السـخط والغضـب الشـديد، ممـا حمـل أكثـرهم، وهـم فـي الغالـب مـن مكـة وأطرافهـا، علـى الفـرار مـن بلـدتهم إلـى أطرافهـا المنعزلـة الآمنـة وغيرهـا مـن الأمـاكن الخاليـة، ليكونـوا فـي أمـان مـن إيـذاء قـومهم لهـم، وفـي وسـط يفكـرون فيـه فـي خلـق السـماوات والأرض تفكيـراً هادئـاً، فـلا يـزعجهم مـزعج، ولا ينغّص حياتهم هناك منغص.

ويؤكـد أهـل الأخبـار إن بعـض أولئـك الحنفـاء كـانوا يسـيرون علـى سـنة إبـراهيم وشـريعته، وإن بعضـاً آخـر مـنهم كـان يلـتمس كلماتـه ويسـأل عنهـا، وإنهـم فـي سـبيل ذلـك تحملـوا المشـاق والأسـفار والصـعاب. وقـد جعلـوا وجهـة أكثـرهم أعـالي الحجـاز وبـلاد الشـام وأعـالي العـراق، أي المواضـع التـي كانـت غالبيـة أهلهـا علـى النصـرانية يومئـذ، وجعلـوا أكثـر كلامهـم وسـؤالهم مـع الرهبان:

وَما قَدَّسَ الرُهبانُ في كُلِّ هَيكَلٍ أَبيلَ الأَبيلينَ المَسيحَ بنَ مَريَما[54]

وقد أضافوا إليهم الأحبار:

أرى الأحبار تنكـرُهُ جميعاً وكلهم لهُ عِلمٌ خبيـرُ
وكانوا الدارسينَ لكلِّ عِلمٍ بهِ التورَاةُ تنطِقُ والزبور[55]

وذكـروا أن الرهبـان والأحبـار أشـاروا علـيهم بوجـوب البحـث والتأمـل، فلـيس عنـدهم مـا يأملونـه ويرجونـه مـن دين إبـراهيم وإسـماعيل، ولـذلك لـم يـدخلوا فـي يهوديـة ولا نصـرانية، بـل ظلـوا ينتظـرون الوعـد الحـق، ومـنهم مـن مـات وهـو علـى هـذه العقيـدة. مـات معتقّداً بـدين إبـراهيم حنيفـاً، غيـر مشـرك بربـه أحدا[56].

لا أحـد ينكـر وثنيـة العـرب، فهـم فـي غـالبيتهم وثنيـون، وقلـة مـنهم توارثـت اليهوديـة والنصـرانية. لكـن تـأثير اليهـود والنصـارى لـم يكـن فـاعلا فـي كسـب رضـا عقليـة العـرب قبـل الإسـلام مـن الناحيـة الدينيـة، فلـم يتحولـوا معهـم إلـى ديـانتيهم، ربمـا يكـون بسـبب أن اليهوديـة هـي نفسـها كانـت مشـوّهة، وربمـا تكـون

النصرانية تعيش عزلة وتشويها أيضا، لكن الحنين إلى الإبراهيمية ظل مركوزا في اللاوعي الجمعي للأمة العربية، ويستطيع الباحث الذكي أن يتلمس ذلك الحنين في كثير من الإسقاطات العقيدية المبثوثة هنا وهناك في ممارسات حياتية أو في نتاجات أدبية.

نحن هنا نتحدث عن ذكريات دينية في عقلية أمة، فالزمن الممتد بين الإبراهيمية التي يقدر تأريخها قبل ميلاد السيد المسيح بكذا ألف من السنين، وبين رسالة الإسلام الحنيف هو زمن طويل، تخلّلته كثير من الرسالات السماوية والتحولات العقيدية، لكنها كلها شُوِّهَت في أذهان أمم المنطقة، والذي بقي منها في عقلية أهل الجزيرة العربية، لا يتعدى قبائل تحصى دون عدد أصابع اليد الواحدة، وبأفراد متفرقين بين القبائل والحواضر هنا وهناك. لكن الحنين ظل قائما في أذهان الأغلبية العامة من أولئك البشر، وتجدد هذا الحنين بشدة في عقلية طائفة كبيرة من الناس فيما بعد العام 550م تقريبا، وترافق هذا الحنين مع جملة متغيرات مماثلة في اتجاهات مغايرة أصابت البنية الاجتماعية، ودفعت في جملة ما دفعت إليه، إلى خروج طائفة من الناس ممن شعر بدونية الانتماء للخروج من نظام القبيلة وأعرافها، أعني طائفة الصعاليك، وكذلك أصابت هذه التغيرات البنى الثقافية والعقلية والسياسية.

ليس موضوعنا السير في معرفة تفاصيل أفكار الأحناف، وليست مهمتنا إحصاء أسمائهم،لكننا نهتم في إظهار الظروف المحيطة بتكوُّن هذه الطائفة، وأثر شيوع هذه الظاهرة (ظاهرة البحث عن دين جديد) في تبلور الفكر العقيدي عند العرب في النصف قرن السابق لبزوغ فجر الإسلام.

إن قراءة أوثق مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام وأوفرها حضورا بين أيدينا اليوم، أعني الشعر الجاهلي، ترينا أن أثر اليهودية في عقلية العرب لم تكن مؤثرة، بل ليست واضحة. كما أن أثر المسيحية لم يكن بارزا في الشعر الجاهلي، وإذا استثنينا عدي بن زيد العبادي الشاعر الجاهلي الحيري (من أهل الحيرة) النصراني، فإننا لا نكاد نجد أثرا واضح الملامح للمسيحية بصفتها عقيدة ذات طقوس وممارسات عند الشعراء الآخرين، وشعر عدي نفسه لا يتضمن الطقوس المسيحية ولا الممارسات التي يؤديها أهل الدين في أديرتهم. أقول هذا على الرغم من أن الأب لويس شيخو في كتابه القيّم (شعراء النصرانية) عدّ معظم شعراء الجاهلية نصرانيين. ونحن نميل إلى جعل مضامين التوحيد والتدين الواردة في شعر معظم الشعراء الجاهليين متأتيّة من رافدين اثنين؛ إسقاطات عقيدية متوارثة باللاواعي الجمعي من السلف الممتد في تأريخه إلى إبراهيم الخليل، وصحوة فكرية تولدت من حالة الانحطاط العقيدي الذي مال بقسم من الأمة إلى نسيان التوحيد والاتجاه إلى عبادة الأوثان والأصنام، لكن الرافد الثاني حضر متأخرا في عقلية العرب، إذ ترافق حضورُه مع تكوُّنِ جملة من الإرهاصات

في جزيرة العرب منذ حوالي خمسين عاما قبل هبوط الوحي للتبشير بالإسلام.

من المؤكد أن الشعور الباطن بالتوحيد الموروث من السلف، يرافقه سلوك توحيدي بسيط، قد نجده منثورا في خفايا أسطورة معينة، أو عادة اجتماعية متبعة، أو في نتاج إبداعي ما، قد يتمثل في حكمة أو مثل أو في بيت شعري ضمن قصيدة طويلة. هذه الإسقاطات العقيدية غير المدرَكة ليست هي أساس التحول في عقلية العرب قبل الإسلام، وإنما كان التحول الأساس يكمن في الاستعداد للدخول في دين جديد يلبي حاجات هؤلاء الناس، لاسيما إذا جاء هذا الدين متماشيا مع فكرة التوحيد التي يتجهون تماما للإيمان بها، لذلك نرى أن المجتمع الجاهلي أمسى مترددا في الاستمرار بقبول عبادة الأوثان، وأصبح همّه الفكري منصبّاً على استقبال منقذ منتظر.

وأياً ما كان الأمر، فإنّ التيارات التوحيدية ظهرت في بلاد العرب في القرن السادس الميلادي بوضوح، وعلى الرغم من أنّ اليهودية والنصرانية قد أوجدتا الشك في صحة الديانة الوثنية، فإنهما لم تفلحا في إدخال تغيير جوهري في النظم الدينية، وبقيت بلاد العرب تموج بهذا التعدد في الديانات إلى أن ظهر سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ، فقضى على كل أثر للوثنية، وقدر له نجاحا بعيد المدى في القضاء عليها[57].

الهوامش والتعليقات

(1) مجمع الزوائد،ج2ص143. وكنز العمال،ج12ص83 .والمنمق ص86. وتاريخ اليعقوبي، ج1ص229. والمستطرف من كل فن مستظرف ج2ص175.

(2) المستطرف من كل فن مستظرف، ج2ص175. وصبح الأعشى في صناعة الانشا ج4ص267.

(3) المعارف، ص621.

(4) لسان العرب، باب (ث ع ب).

(5) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2 ص206.

(6) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ص36.والمفصل ج2ص688والابيات لشحنة بن خلف.

(7) الأغاني، ج3ص118.والمزهر في علوم اللغةوأنواعها ج2ص280 الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل.

(8) السيرة النبوية،ابن هشام الحميري، ج1 ص 146. وإمتاع الأسماع، ج6ص255.

(9) الأعلام،ج8ص114.

(10) المعارف،ص136.

(11) بحار الأنوار،ج15 ص204.

(12) سبل الهدى والرشاد،ج1ص350.

(13) السيرة الحلبية، ج1ص163.

(14) سنن الترمذي،ب ج5ص250.

(15) المعارف،ابن قتيبة ص60.

(16) الأ غاني ج15ص238.

(17) السيرة النبوية، ج2ص185. وخزانة الأدب ج6ص 108
(18) سورة البقرة /135.
(19) تفسير مجمع البيان، ج1ص403.
(20) أساس البلاغة ولسان العرب، مادة (ح ن ف).
(21) لسان العرب، مادة (ص ب و).
(22) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج3ص767
(23) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج6ص381.
(24) البداية والنهاية، ج2ص301.
(25) كتاب شرح اشعار الهذليين، القسم الأول، ص287.التوالي: نوع من المسير.الملا: المتسع من الأرض.
(26) المحيط الأعظم، باب (ح ن ف).
(27) خزانة الأدب،.ج7ص204.
(28) خزانة الأدب، ج7ص215.
(29) معجم البلدان، ج2ص384.
(30) خزانة الأدب، ج2ص72والأبيات لقس بن ساعدة.
(31) معجم البلدان،ج2ص162 الأبيات لورقة بن نوفل.
(32) السيرة النبوية، ابن هشام الحميري،ج1ص148. والأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل.
(33) خزانة الأدب، ج2ص73.
(34) المعارف، ص59. والأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل.
(35) الأغاني،ج3ص119. والأبيات لورقة بن نوفل.
(36) الأغاني ج3ص115.
(37) آل عمران/67.
(38) جامع البيان، ج3ص306 . وتفسير البغوي، ج1ص313.
(39) المنمق في أخبار قريش،ص153.
(40) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج3ص421.
(41) االمزهر في علوم اللغة وانواعها ج2ص280. والأغاني،ج3ص118.
(42) المستدرك، ج3ص216.والآحاد والمثاني ج1ص199. المعجم الكبير، ج5ص87.
(43) السيرة الحلبية، ج1ص321. البيان والتبيين،ج1ص163.
(44) البيان والتبيين، ج1ص 163. وجمهرة خطب العرب، ج1ص39.
(45) الأغاني ج4ص 133. وصبح الأعشى في صناعة الانشا،ج6ص209.
(46) المعارف، ابن قتيبة،ص59. والأغاني ج3ص113 وما بعدها) وتاريخ دمشق، ج19ص495.
(47) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج3ص430.
(48) كتاب المنمق، ص283.
(49) البيان والتبيين ج1ص269.
(50) مجمع الأمثال، ج2ص143.
(51) مجمع الامثال ج2ص143.
(52) العين، مادة (ص رح).
(53) تاج العروس، مادة (ح ز و).
(54) الحماسة البصرية ص206 والبيت لعمرو القضاعي.
(55) السيرة النبوية والبيت لسماك اليهودي.

(55) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: ج3 من كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
(56) معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، ص218.

المصادر والمراجع

(1) الآحاد والمثاني، الضحاك(ت287هـ) تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية،1991م.
(2) أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري(538هـ).
(3) الأعلام، خير الدين الزركلي ج8ص114، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.،
(4) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني(ت356هـ) تحقيق سمير جابر،دار الفكر،بيروت(د.ت).
(5) إمتاع الأسماع، المقريزي (ت845هـ) تحقيق محمد عبد الحميد النميسي،دار الكتب العلمية، بيروت،1999.
(6) بحار الأنوار،العلامة المجلسي،دار احياء التراث العربين بيروت،1983م.
(7) البداية والنهاية،ابن كثير(ت774هـ) تحقيق علي شيري،دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
(8) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي / دار الكتب العلمية، بيروت،1314هـ.
(9) البيان والتبيين الجاحظ(ت255هـ) تحقيق فوزي عطوي،دار صعب بيروت، 1968م.
(10) تاج العروس، مرتضى الزبيدي(ت1205هـ).
(11) تاريخ دمشق،ابن عساكر(ت571هـ) تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت،1415هـ.
(12) تاريخ اليعقوبي،اليعقوبي(ت284هـ) ، دار صادر، بيروت(د.ت).
(13) تفسير البغوي،البغوي(ت510هـ) تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت(د.ت)
(14) تفسير مجمع البيان، الطبرسي(ت548هـ) تحقيق لجنة من العلماء،مؤسسة الأعلمي، بيروت،1995م.
(15) جامع البيان، ابن جرير الطبري(ت310هـ) تحقيق خليل الميس،دار الفكر، بيروت، 1995م.
(16) جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت،المكتبة العلمية، بيروت(د.ت).
(17) خزانة الأدب،الخطيب البغدادي(ت1093هـ) تحقيق : محمد نبيل طريفي/إميل بديع اليعقوب،دار الكتب العلمية، بيروت،1998م.
(18) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي (ت 942هـ) تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت،1993م.
(19) سنن الترمذي، الترمذي(ت279هـ) تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر، بيروت، 1983م.
(20) السيرة الحلبية، الحلبي(ت1044هـ) دار المعرفة، بيروت،1400هـ.
(21) السيرة النبوية، ابن كثير(ت774هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد،دار المعرفة، بيروت، 1976هـ.
(22) السيرة النبوية،ابن هشام الحميري(ت218هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،مطبعة المدني، القاهرة،1963.

(23صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي(821هـ)، تحقيق يوسف علي طويل،دار الفكر، دمشق،1987م.
(24) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، السيد جعفر مرتضى،دار الهادي ودار السيرة، بيروت،1995م.
(25) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ).
(26) كتاب شرح اشعار الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة، 1945م.
(27) كنز العمال،المتقي الهندي(ت975هـ) ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني،مؤسسة الرسالة، بيروت،1989م.
(28) مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني(ت518هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت(د.ت).
(29) مجمع الزوائد، الهيثمي(ت807هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
(30) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة (ت458هـ).
(31) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي(ت911هـ) تحقيق فؤاد علي منصور،دار الكتب العلمية، بيروت،1998م.
(32) المستدرك، الحاكم النيسابوري(ت405هـ) تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
(33) المستطرف من كل فن مستظرف، شهاب الدين الأبشيهي (ت850هـ) تحقيق مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.
(34) المعارف، ابن قتيبة(ت276هـ) تحقيق محمد ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة(د.ت).
(35) معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، احمد أمين سليم، مكتب كريديه اخوان، بيروت،(د.ت).
(36) معجم البلدان، ياقوت الحموي(ت626هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت،1979م.
(37) المعجم الكبير، الطبراني(ت360هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي،دار إحياء التراث العربي(د.م) 1984م.
(38) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، منشور ت الشريف الرضي،طبعة مصورة عن طبعة المجمع العلمي العراقي
(39) المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي،(ت245هـ)، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، القاهرة(د.ت).
(40) لسان العرب، ابن منظور(ت711هـ).